على ايدينا ـ والبت في ايدي الجيل وفي صنيعه » ٠

وفي فصل اخر ينتقل المؤلف ليعدد « الجهود» التي بذلتها الحركة الصهيونية للوصول الى السلام مع العرب ويعزو اعراض العرب الى « القومية العربية التي هي قومية عنف لا صلة لها بنوايا السلام والتعايش بين الجيران ، فهي قائمة على القوة ونواياها ابادة شعب » ٠

ثم يعود المؤلف ليعدد الوان « الاضطهاد » التي لقيها اليهود على امتداد تاريخهم راميا الى تصوير الحركة الصهيونية ملاذا وحاميا لليهود من مثل هذه المطاردات ، حتى أنه يحرص على نفي احتمال خلو مجتمع عياء من عداء السامية حتى ولو كان مجتمعا ديمقراطيا ٠

فابتدأ من عهد قياصرة روسيا واختار فقرة وردت على لسان المدعي العام للكنيسة المقدسة في روسيا القيصرية الى السفير الاميركي في موسكو : « يا صاحب السعادة ! في روسيا ستة ملايين يهودي ، مليونان منهم يجب ان يعتنقوا المسيحية ، ومليونان يجب ان يغادروا البلد ، ومليونان سيقتلون ، وعندها لن تكون مشكلة يهودية في روسيا » ٠

واستشهد بحدث قريب وقع في الولايات المتحدة ٠ بما نشرته بعض الصحف الاميركية بعد حرب تشرين وما نتج عنها من ازمة طاقة في الدول الغربية والولايات المتحدة بصفة خاصة ، بأنه « ظهرت شعارات مكتوبة على سيارات خاصة وسيارات اجرة تقول : احرقوا اليهود بدلا من الوقود » ، واشار في هذا الصدد الى عبارة قالها هاييم وايزمان : « بلاد العالم تنقسم بالنسبة لليهود الى نوعين : بلاد يجب ان يخرج منها اليهود ، وبلاد محظور على اليهود دخولها » ٠ وهكذا ، بعد ان اغلق جميع الابواب ، يصل المؤلف الى ما يريد ان يصوره على انه الحل الاخير للمشكلة اليهودية ، الا وهو الصهيونية :

« الصهيونية هي الحرب الياائسة الاخيرة التي يخوضها اليهود من اجل بقائهم اليهودي » ٠

ويسخر الكاتب من الذين اهتزت ثقتهم باسرائيل وبالصهيونية على اثر حرب تشرين، فيرد على احد الذين قرروا النزوح عن اسرائيل ـ وقالوا : « نحن نحزم امتعتنا الى مكان ما ، الى اي مكان اخر ليس فيه واحبات الوطن التي تفترس احلى سني العمر » ، بقوله : « ان هذا بخياله يرى نفسه كالعلق الطليق الذي يرقى فوق الحدود السياسية ٠٠٠ ولكن خلفية هذا النازح من الناحية الفكرية الايديولوجية المتجذرة في وعيه منذ صباه بصفته مولودا في اسرائيل ، تؤرقه ، فلا ينام الليل ويشعر بالضيق وبتأنيب الضمير » ٠

وهنا يوجد اللوم والتأنيب الى الجمهور الاسرائيلي ككل : « عادات شعب المنفى على امتداد الفي عام ما زالت تنخر في خصائص هذا الشعب الرئيسية ، اذ ان شخصية الشعب العادي القومي المتجذر في وطنه محصنا وراسخا ، ما زالت معرضة لتنال منها رياح الزمن ، وهذا عامل مشروط بمقدار الخير الذي يقدمه البلد ٠٠٠ » ٠

ان ابرز درس نستخلصه من تصفح هذا الكتاب هو أن اصرار الشعب العربي على حقه وتصاعد نضاله على امتداد السنين من اجل هذا الحق هو صاحب الدور الاول في زعزعة ثقة ضحايا الحركة الصهيونية من يهود لعالم في صدق هذه الحركة وفي احتمال بقائها ٠ النضال العربي العنيد هو الذي دفع الشباب الاسرائيلي الى طرح اسئلة التشكك في « حقه على ارض اسرائيل » ، وهو الذي دفع النشىء الجديد في اسرائيل الى التفكير في سباب نجاة الخالات سارة ورفقه وشوسانا في مونتريال ولوس انجلوس وسيدني من ثكل أعزائهن ، بينما حياة الاسرة هنا ـ في « ملجأ الصهيوني » ـ تطفح بالمآتم والاحزان ٠

صبحي النجار